الجذور التاريخية للوجود الإسلامي والمسلمين بالغرب
إلى القرن 15 الهجري
وبعض معاناة مسلميه اليوم

الأستاذ الدكتور حميد لحمر
كلية الآداب، جامعة فاس. المغرب

يعتبر موضوع الإسلام والمسلمين بالغرب من أهم المواضيع التي شدت اهتمام الباحثين والمؤسسات المهتمة في الآونة الأخيرة. ويأتي ذلك أمام تزايد أعداد المسلمين بالغرب، وتوسع قاعدة الإسلام، وإحداث المراكز والجمعيات والمنظمات الإسلامية أيضا، وما كان لكل هذا من رد فعلي غربي مقلق أحيانا ومؤسف تارة أخرى.

في هذه المداخلة التي أساهم بها في هذا المؤتمر المبارك، الذي خصص لمدارسة الإسلام والمسلمين بالعالمين العربي والغربي، سوف أحاول إن شاء الله أن أشير إلى مراحل دخول الإسلام والمسلمين إلى أوربا الغربية والشرقية، ثم أقف بعد ذلك عند الهجرة الإسلامية إلى أوربا بعد هذه المراحل، وما هي أسبابها ودواعيها، وكيف تطورت في العصر الحالي – بداية القرن 15 –، وما هي التغيرات التي من الممكن أن تحدثها خلال هذا القرن، والأشياء التي ترشحها لذلك، وأختم بالإشارة إلى معاناة بعض المسلمين بالغرب اليوم.

إن صلة أوربا بالإســـلام والمسلمين صلة قديمة تاريخيا، فقد انتشر الإسلام فيها عن طـــريق

المسلمين عبر عدة معابر: منها المعابر الجنوبية، وهي أقدم مسالك المسلمين والإســـلام إلى أوربا، ومنها المعابر الشرقية.

وأما حديثا فقد انتقل إليها، وإلى مناطق منها، لم يكن قد وصلها من قبل، عن طريق الهجرة العُمّالية التي قادت الملايين من المسلمين تدريجيا من مختلف البلدان الإسلامية بإفريقيا وآسيا والشرق إلى الاستقرار بأوربا. ويمكن أن نقسم هذا الدخول حسب المراحل التالية :

1- أوربا الغربية :

في المرحلة الأولى : عمل المسلمون على فتح الأندلس، وقد كان ذلك سنة 92 هـ الموافق لـ 710 م، ولم تمض ثلاث سنوات، حتى خضعت لهم شبه جزيرة إيبريا كلها، فأسسوا بها دولة إسلامية تابعة لدار الخلافة في دمشق بالشام.

ثم جاء الأمويون إلى الأندلس بعد أن غلبوا على أمرهم في الشرق، وأنشأوا دولة أموية قوية بالأندلس.

وقد عرفت الأندلس بعد الأمويين تقلبات سياسية خطيرة، ثم تؤثر مع ذلك على الحركة الفكرية والتوجه المذهبي الفقهي المالكي، حيث حكمها ملوك الطوائف قبل أن تصبح تابعة للمغرب أيام دولة المرابطين والموحدين، وبعد ذلك أخذت أطرافها تتقلص شيئا فشيئا إلى أن حل بها الضعف الذي أدى إلى انهيارها، وقد كان لسقوط غرناطة عاصمة ملوك بني الأحمر سنة 895 هـ/ 1491 م انتهاء الحكم الإسلامي بالأندلس.

وقد كانت الأندلس قبل هذا قد عاشت حياة فكرية سامية، وتنافست عاصمتها قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل والحكم المستنصر حاضرة بغداد أيام هارون الرشيد. فقد نشطت الدراسات العقلية في الأندلس بنشاط الدراسات اللغوية والأدبية والشرعية، وأخذ الإنتاج الأندلسي طابعا خاصا خصوصا في الرياضيات والفلسفة والطب والفلك، وأنجبت علماء كبار في جميع التخصصات، منهم : الطبيب والرياضي والفقيه الفيلسوف ابن رشد الحفيد.

كما خلف المسلمون في بلاد الأندلس خلال القرون الثمانية التي عاشوها هناك عمرانا متميزا، تجلى فنه الراقي في المساجد والصوامع والقصور والحصون والقلاع والساحات وغيرها مما لا زال قائما إلى يوم الناس هذا، ويعتبر محط إعجاب الزوار المتوافدين عليه من أنحاء العالم.

أما المرحلة الثانية : فقد دخل المسلمون من الأندلس إلى فرنسا برّا، واخترقوا جبال البرانس (البيرني)، وقد كان ذلك سنة 94 هـ/ 713 م، وانطلقوا في فرنسا، وقد كانوا يسمونها وقتئذ بـ "الأرض الكبيرة" لانبساطها بين جبال البرانس جنوبا، وجبال الألب شرقا، والمحيط غربا.

فقد دخلوا في البداية مدينة "ناربون" في سهل : لا تكدوك قريبا من البحر، فاتخذوا منها مركزا لمتابعة فتوحاتهم طوال عشرين سنة دان لهم خلالها جنوب

فرنسا من غربه إلى شرقه وتوغلوا شمالا نحو باريز حيث لم يعد يفصلهم عنها سوى نحو ثلاثمائة كيلومتر.

ويرجع هدف المسلمين منذ دخولهم أرض فرنسا أن يرجعوا إلى دمشق برا بعد فتح إيطاليا وألمانيا والقسطنطينية. وكانت مدينة بوردو آخر مدينة دخلها المسلمين عنوة بعد مقاومة طويلة، ولم يكن أمام الأمراء الغربيين إلا أن اتحدوا تحت قيادة شارل مارتل واعترضوا الجيش الإسلامي في طريق رجوعه بضواحي مدينة بواتيي حيث جرت المعركة الشهيرة ببلاط الشهداء سنة 114 هـ / 732 م.

وفي المرحلة الثالثة : جاء المسلمون فرنسا من الأندلس بحرا، ونزلوا بجنوبها الشرقي في منطقة بروفانس وجبال الألب والساحل الأزرق.

وتضفي بعض الروايات الأوربية على هذا الهجوم صبغة المغامرة والمصادفة، زاعمة أن الأمر لا يعدو عشرين نفرا خرجوا في مركب خفيف من الأندلس وألقتهم الرياح في خليج سانتروبيز بين فرنسا وإيطاليا، فمكثوا بين الأدغال إلى أن لحق بهم إخوانهم من إسبانيا وإفريقيا. وكيفما كان الحال فان الروايات تتفق على أن المسلمين استقروا هناك، ولم تمض سنوات قليلة حتى امتلأت المنطقة بالحصون، وشيدوا قلعتهم المنيعة المسماة فراكسينت FRAXENET على قمة جبل ما تزال به حتى الآن أطلال وبقايا عمران.

وقد تقدم المسلمون في جبال الألب حتى وصلوا إلى أعلاها واجتازوا مضايق دوفيني Dauphiné فوصلوا حدود إيطاليا (بييمونت) وملكوا جميع مضايق جبال الألب وصار المرور بين فرنسا وإيطاليا متوقفا على إذنهم، وتوسعوا في البلاد الإيطالية إلى حدود جنوه GANOVA، ثم تقدموا إلى سويسرا فملكوا منطقة فاليه ومقاطعة كريزون GRISINS.

وقد بقي المسلمون سادة هذه المنطقة نحو تسعين سنة تحت رعاية خلفاء قرطبة الأمويين، ومساعدة الأغالبة والفاطميين بتونس، وأصبحوا لا يرتفع في وجههم رأس ولا ترتقي إلى مصارعتهم همة، كما قال شكيب أرسلان[1].

وقد غادر المسلمون هذه المناطق سنة 365 هـ / 975 م بعد أن تألب عليهم المسيحيون من كل جانب بقيادة إمبراطور ألمانيا أوطون OTHON تاركين آثارا عمرانية مازالت قائمة لحد الساعة.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة : فقد فتح المسلمون فيها جزيرة صقلية، وقد كان ذلك سنة 212 هـ / 827 م، وهي تعتبر من أكبر جزر الحوض الغربي

بالبحر الأبيض المتوسط جنوب إيطاليا. وقد نشروا فيها لغتهم العربية ونشطوا الحركة العلمية واتخذوا بها مدينة بليرمو BALERMO عاصمة لهم.

وجلبوا إليها صناعات راقية كالورق والحرير والسفن والفسيفساء، وأضفوا عليها طابعا معماريا إسلاميا بمنشآتهم الدينية والثقافية والمدنية، ولم يعمروا بها طويلا حتى سقطت في يد النورمانديين حكام جنوب إيطاليا.

وقد استمر المسلمون في صقلية قرونا أخرى لما لاقوه من حسن معاملة النورمانديين لهم.

فقد أقروهم على ديانتهم وشريعتهم، واستعانوا بهم في دواليب الدولة وشجعوا الدراسات العربية والإسلامية، وكان بينهم تحاوب وتعاون في نقل علوم المسلمين الرياضية والفلسفية والفلكية والطبية إلى اللاتينية والفرنسية.

كما كان هؤلاء الملوك عموما معجبين بالثقافة العربية الإسلامية، يتقنها بعضهم إتقانه للغة اللاتينية.

وقيل عن روجار الثاني النورماندي أنه : "كان سلطانا عربيا يحمل تاجا كملوك الأفرنج، وإن تسامحه الديني أدى إلى امتزاج الثقافات العربية واليونانية واللاتينية". ومن المعلوم أن الشريف الإدريسي وضع لروجار هذا خريطة العالم على دائرة فضية مسطحة كبيرة، وألف له بالعربية كتاب : "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، شرح فيه هذه الخريطة. وقد ترجمت الخريطة والكتاب إلى مختلف اللغات الأوربية[2].

2- أوربا الشرقية :

أما أوربا الشرقية، فإن دخول الإسلام إليها تأخر بضعة قرون، وسلك في ذلك سبلا مختلفة عما رأيناه في أوربا الغربية. ويمكن حصره في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : دخل على يد التجار المسلمين، كانوا يحملون السلع من البلدان الشمالية إلى حوض نهر الفولكا، وأخذ الإسلام ينمو ويتطور حثيثا.

في المرحلة الثانية : دخل على يد التتار المستقرين في شمال البحر الأسود وحوض الفولكا الأسفل، حينما اعتنقوا الإسلام في منتصف القرن السابع (ق 13 م)

المرحلة الثالثة : كان للإسلام انتشارا واسعا في شرق أوربا على يد الأتراك العثمانيين الذين غيروا وجه شرق أوربا ونشروا الدين الحنيف في مختلف أرجائه، إلى أن جاء السلطان محمد الفاتح فانتزع القسطنطينية من يد البيزنطيين عام 857 هـ / 1453 م وجعلها عاصمة المسلمين في شرق أوربا.

استمرت فتوح العثمانيين أربعة قرون ملكوا خلالها شبه جزيرة البلقان كلها، بما فيها بلغاريا ويوغوسلافيا وألبانيا واليونان، ودولا أخرى خارجها كرومانيا وهنغاريا، ونشروا فيها الإسلام إلى أن وصلوا إلى تخوم غرب أوربا.

واستمر النفوذ الإسلامي العثماني في هذه المنطقة الشاسعة حتى الحرب العالمية الأولى 1918 م، فاندمجت بعض الدول في الاتحاد السوفياتي وصار بعضها يدور في فلك الشيوعية، ونال المسلمون من جراء ذلك عناء كثيرا، فاضطر بعضهم إلى الهجرة إلى البلاد الإسلامية المجاورة أو الرضوخ للقصر والاستبداد. ومن المنتظر أن ينبعث الإسلام ومعالمه من جديد بهذه الربوع في السنين المقبلة نتيجة انهيار النظام الشيوعي الذي كان مسيطرا على معظم المنطقة.

وقد ترتب عن فتح المسلمين لبلاد الأندلس وغيرها قيام علاقات وثيقة مع ممالك غرب أوربا التي اشتهرت منها إذ ذاك الإمبراطورية الغربية الألمانية التي اشتملت على ألمانيا الحالية وأجزاء من بلجيكا وهولندا والنمسا والمجر، وهي التي صار اسمها الرسمي الإمبراطورية الرومانية المقدسة، واشتهر أعظم حكامها وهو الإمبراطور هنري الرابع بعلاقته الطيبة مع المسلمين في بلاد الأندلس، وقدمت بعثات من فرنسا وإيطاليا والأراضي المنخفضة وامتلأت بها معاهد غرناطة وإشبيلية ونهلت من الحضارة العربية الإسلامية، وتأثرت بالأخلاق العربية وتعاليم الديانة الإسلامية[3].

ولعل من أبرز المفكرين الغربيين الذين تحدثوا عن أثر الحضارة الإسلامية في حضارة أوربا ونهضتها "جوستاف لوبون"، صاحب كتاب : حضارة العرب، حاول فيه أن يكون موضوعيا إلى حد ما. ومن آرائه في هذا الصدد قوله : "كان تأثير العرب على الغرب عظيما وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق.

ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذا تصور حالة أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة العربية. وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعاشر للميلاد، يوم كانت الحضارة العربية في إسبانيا زهرة باهرة نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في الغرب عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون.

وظل عهد جهالة أوربا، ولم تبدأ الرغبة في العلم إلا في القرن الثاني عشر، ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلا بالحاجة إلى الخلاص من الجهل طرقوا

أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد"[4].

واعترف المؤرخ رينو RINO في كتابه : تاريخ غزوات العرب، بفضل العرب على حضارة أوربا ونهضتها فقال : "إن النهضة الحقيقية في أوربا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر، حيث أفاق الفرنسيون، والإنجليز، والألمان من رقدتهم، ونفضوا عنهم غبار الخمول، ووجدوا ضرورة الاشتراك في الحضارة العربية، فأخذ المسيحيون في فرنسا وما جاورها يؤمون إسبانيا لترجمة الكتب العربية، وأصبح العرب الأمثلة العليا للشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق"[5].

ويقول موريس بوكاي في كتاب "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" : "إن الإسلام قد اعتبر دائما أن الدين والعلم توأمان، فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزء لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام، وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي اقتبست منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوربا".

وبعد طي صفحة هذا التاريخ، ولمدة طويلة جدا، لنعود اليوم لنسجل تاريخا جديدا لعودة المسلمين والإسلام مرة أخرى إلى ربوع هذه المناطق، ولكن لأهداف خاصة، وبطرق متنوعة، مع التركيز على أوربا الغربية بالدرجة الأولى التي رأينا انحسار الإسلام عنها في نهاية القرن التاسع (15 م).

ويسجل التاريخ مرة أخرى عودة المسلمين إليها أفواجا في القرن الرابع عشر الهجري (20 م)، غير أن الملاحظ هنا هو أن هذه العودة ترتبط بحركة الاستعمار الأوربي لبعض الدول الإسلامية. فكانت الدول المستعمرة تستقدم في البداية إلى بلادها جموعا من المستعمرين كيد عاملة رخيصة طبعا، تستخدمها في الصناعة والتعدين والفلاحة وما إلى ذلك أو كجند يحاربون أعداءها في الصفوف الأمامية إضافة إلى قليل من التجار والطلاب. كما فتحت أوربا الغربية أبوابها في وجه المضطهدين والزعماء والسياسيين المسلمين من المشرق والغرب.

وازدادت هجرة المسلمين إلى غرب أوربا بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الحاجة إلى اليد العاملة خلفا لمن أفنتهم الحرب، ولاسيما عند ازدهار الحركة الصناعية الأوربية في الستينات وتوسعت قاعدة الهجرة باستقلال عدد من الدول المستعمرة لتشمل التجار والطلاب والديبلوماسيين.

وأعطي حق الإقامة المؤقتة والدائمة والتجنس للمهاجرين المسلمين، وبذلك تكونت جاليات إسلامية ضخمة في مختلف أنحاء دول أوربا الغربية بالخصوص.

واليوم، ونحن في السنوات الأولى للقرن الخامس عشر الهجري، وبعد أن سنّت الدول الأوربية أبوابها في وجه الهجرة، نجد الراغب في الهجرة أصبح يسلك سبلا متنوعة، وفي غاية الخطورة، لا تخلو من العواقب المؤسفة.

وقد انتهت أغلب هذه الهجرات بتسوية قانونية، وتحولت الهجرة بذلك من هجرة عابرة إلى هجرة إقامة واستقرار.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد المسلمين في أوربا الغربية تعزز في هذه العقود الأخيرة باعتناق عدد من الأوربيين الإسلام عن رغبة واقتناع، ومنهم مثقفون جامعيون ومفكرون مشهورون، ساعد على ذلك حرية التدين، وتحقق بذلك ما تنبأ به المرشد الكبير بديع الزمان سعيد النورسي الذي قال : "أن أمريكا وأوربا حاملتان بالإسلام، فكما أن الإمبراطورية العثمانية كانت حاملة بأوربا فولدت، فلابد أن يولد من أوربا دولة للإسلام"[6].

إن عدد المسلمين في العالم يناهز المليار وثلاثمائة مليون نسمة، ويقدر عدد المهاجرين من المسلمين المتواجدين في أوربا الشرقية والغربية بما يناهز خمسة عشر مليون نسمة، من بينهم ما يقرب من مليون مسلم يعيشون في إيطاليا وحدها، وقبل بضع سنوات لم يكن من المتوقع أن يصبح الإسلام في إيطاليا، معقل الديانة الكاثوليكية، يشكل فيها الديانة الثانية في المرتبة بعد المسيحية.

وفي هولندا أيضا، وبالضبط في الآونة الأخيرة، لوحظ ارتفاع مهم في عدد الجالية المسلمة بهولندا، فحسب آخر الاحصاءات المتوفرة من مركز إحصاء المواطنين بهولندا (C.B.S.) لعام 1996، وإلى حدود يناير 1995، يصل عدد المسلمين بهولندا إلى 627000 مسلم ومسلمة، وأصبح المسلمون يمثلون الفئة الثانية بعد المسيحيين[7].

وكذلك الشأن بالنسبة لمسلمي فرنسا وإنجلترا وإسبانيا وغيرهم، ففي جل هذه الدول وغيرها يحتل الإسلام المرتبة الثانية بعد الديانة المسيحية.

وقد يشيد القرن الخامس عشر الهجري، وكما تنبأ بعض المفكرين – الإمام النورسي السالف الذكر – بمولود أوربا إذا خلصت النية وحسن التوجه، وأحكم

التنظيم والتسيير لمجموعة من المؤسسات والمراكز والجمعيات والرابطات التي أحدث بمجموعة من الدول الغربية.

فبالإضافة إلى المساجد المنتشرة بكثرة بدول أوربا، والتي تلعب دورا مهما في جمع شمل وكلمة المسلمين، فهناك الجمعيات، ومنها على سبيل المثال ثلاث جمعيات إسلامية رئيسية في إيطاليا، تعمل جاهدة لتنظيم العمل الإسلامي وبلورته، وإيجاد قاسم مشترك للتآلف والتعاون فيما بينها، ووضع صيغة للعمل المشترك وهي:

اتحاد الهيئات والجاليات الإسلامية في إيطاليا،تأسست سنة1990 بمدينة أنكونا

المركز الإسلامي بميلانو، تأسس سنة 1977 بمبادرة من اتحاد طلبة المسلمين في إيطاليا.

المركز الإسلامي الثقافي لإيطاليا بروما، تأسس سنة 1965، وهذا يعتبر من أكبر المراكز الإسلامية بإيطاليا، خصوصا بعد إعادة بنائه وتشكيل إدارته[8].

وفي هولندا، فبالإضافة إلى المساجد[9]، فهناك المراكز الإسلامية، وغالبا ما يتداخل مصطلح المركز الإسلامي مع المسجد، حيث يوجد عدد من المراكز الإسلامية، لكنها لا تتجاوز عمل المسجد بشيء، ومن هذه المراكز :

- المركز الإسلامي الثقافي بأمستردام، المعروف بالمسجد الكبير بأمستردام.
- المركز الثقافي الإسلامي، المعروف بمسجد الأمة بأمستردام.
- مركز الفرقان بمدينة اندهوفن Endhoven، أنشئ سنة 1989.
- المركز الإسلامي بأوترخت، مركز تابع لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أنشئ سنة 1984.
- المركز الإسلامي بمدينة نيمخن، المعروف بمسجد أبي بكر.
- المركز الثقافي الإسلامي بهولندا، أنشئ سنة 1988 بمدينة دنهاخ.
- المركز الإسلامي للإعلام الموجود بمدينة لاهاي يرأسه هولندي مسلم، عبد الواحد فنبومل.

إلى جانب هذه المراكز الثقافية توجد جمعيات واتحادات ومنظمات إسلامية منها :

- اتحاد جمعيات المسلمين المغاربة، ويعرف باتحاد المساجد المغربية، أنشئ سنة 1980.

- جمعية الأئمة، أنشئت سنة 1995.

ـ مؤسسة أرضية المنظمات الإسلامية، أنشئت أواخر الثمانينات بمنطقة رايموند، تضم في عضويتها 38 منظمة.

ـ جمعية المشكاة،أنشئت سنة 1986،تحت اسم:الاتحاد الإسلامي للطلبة والشباب

ـ جمعية الإغاثة الإسلامية، أنشئت سنة 1993.

ـ جمعية التوحيد، أنشئت سنة 1990 بروتردام.

ـ المؤسسة الإسلامية لمساعدة الطلبة المسلمين، أنشئت سنة 1993.

ـ جمعية البلاغ في مدينة لِيدن.

ـ منظمة الكشافة "ابن بطوطة"، أنشئت سنة 1995.

وغير هذا من المراكز والجمعيات والمؤسسات ذات الطابع الإسلامي، والمنتشرة في مختلف أنحاء أوربا.

فإذا ضممت ما ذكرناه إلى جانب ما هو منتشر في فرنسا واسبانيا وإنجلترا وألمانيا وبلجيكا وغيرهم، فسوف تجد بأن مستقبل القرن الخامس عشر لهم، إذا أخلصوا النية، وأحكموا التصرف، ومثلوا الصورة الحقيقية للإسلام. وقديما قال السادة الفقهاء : إن الحربي إذا أسلم في دار الكفر فعليه أن يخرج إلى دار الإسلام، وسوف لن أكون مبالغا إذا قلت بأنه لابد من إعادة النظر في هذه الفتوى في هذا القرن، تمشيا مع قول الفقهاء أيضا : إن الفتوى تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة.

وبالتالي، فلقد صدق القائل : إن أوربا حبلى وستلد يوما. نعم إن أوربا حبلى بالمساجد والمراكز والمنظمات والمؤسسات، وسوف تلد في قرنها الخامس عشر إن شاء الله.

إن تحول الهجرة الإسلامية إلى أوربا من هجرة فردية إلى هجرة عائلية، ومن هجرة مؤقتة إلى هجرة دائمة، كانت له نتائجه الواضحة، مشاكل عديدة ومتنوعة تتفاوت في حدتها وخطورتها، ولعل من أخطر هذه المشاكل تلك المتعلقة بتنظيم الأسرة، وقانونها. ولا يختلف اثنان في أن كثيرا من المشاكل التي تتخبط فيها الأسر المسلمة في أوربا ناتجة عن خضوعها في كثير من القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق والحضانة والإرث، لقوانين ذات صبغة علمانية،بل إنها تتعارض في كثير من الأحيان مع مبادئ ومقاصد الدين الإسلامي.

ورغم أن هناك قوانين دولية واتفاقيات قضائية تقضي بتطبيق قوانين الوطن الأصل في القضايا الأسرية بالنسبة إلى الجاليات المسلمة المقيمة في أوربا، غير

أنها مذيلة بشرط أساسي، وهو ألا تخالف النظام العام المحلي بالبلد المضيف، الشيء الذي يخلق تعقيدات كثيرة، ويجعل تطبيق هذه الاتفاقيات في بعض الأحيان أمرا متعذرا عمليا وواقعيا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدافع وراء اعتبار المهاجر مرتبطا بقانون بلده فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، ليس هو المحافظة على هويته الوطنية، والثقافية، ولا احتراما لخصوصيته الدينية، وإنما فرضته قاعدة المعاملة بالمثل، حيث إنه وضع أساسا لصالح الأوربيين المقيمين خارج بلدانهم، وطبق بموجب هذه القاعدة على المسلمين بأوربا[10].

وإذا كان هذا المبدأ يطبق في بعض الحالات وبنشية معينة على المسلمين المهاجرين، فإنه لا يؤخذ به عندما يتعلق الأمر بالمهاجرين الذين تجنسوا أو أبنائهم من الجيل الثاني والثالث، الذين اكتسبوا الجنسية بالازدياد، أو عندما يتعلق الأمر بالمسلمين الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام، لأنهم في هذه الحالة يعتبرون مواطنين مثل سائر المواطنين، في الخضوع لنفس القانون المحلي المعمول به في البلد.

ولاشك أن هذا له تأثيره الخطير على الزواج الذي هو أساس تكوين الأسرة، وعلى الطلاق أيضا إذا دعت إليه الضرورة، ثم على الحضانة والإرث.

الهوامش والتعليقات:

---

[1] – انظر : تاريخ العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط لشكيب أرسلان.
وانظر أيضا : حضارة العرب في الأندلس ليفي بروفنصال – تعريب ذوقان قرطوط، ص : 12.

[2] – انظر : دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية للدكتور أمين توفيق الطيبي، ص : 180-197.

[3] – البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ص : 40-50. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض 1979.

[4] – حضارة العرب لغوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر صفحة : 139.

[5] – العصور الوسطى الأوروبية. عبد القادر أحمد اليوسف ص 251 وما بعدها.

[6] – سيرة إمام معتدل، بديع الزمان سعيد النورسي، ص : 19. عاصم الحسيني.

[7] – إحصائيات مركز احصاء المواطنين بهولندا (C.B.S.) لسنة 1996.
واحصائيات مشروع القادمين الجدد (PIN).

[8] – للمزيد من التوسع راجع : المسلمون بإيطاليا للدكتور عبد اللطيف الكتاني.

[9] – ظهر أول مسجد في هولندا سنة 1947، وقيل في الخمسينات على يد أبناء الجالية الاندونيسية الذين هاجروا إلى هولندا أثناء استعمارها لبلادهم.

[10] – انظر : الإسلام المهاجر في النولة القومية : النموذج فرنسا. مجلة منبر الحوار. س 7. ع 25 – 1992. ص 45. وانظر أيضا : بعض مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب. لمحمد البواري : 41-71